الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

المستوى: سنة ثانية

تخصص: فلسفة.

السداسي: الثاني

مقياس: فلسفة التاريخ

المحاضرة الخامسة: فلسفة التاريخ اللاهوتية. القديس أغسطين.

إعداد الأستاذة: معروف حنان.

تمهيد: إن العصور الوسطى كان لديها اهتماما كبيرا بالعديد من المجالات ، و خصوصا اهتمامها بالتاريخ و كذا اهتمامها بفكرة جد مهمة ألا و هي العناية الإلهية ، لأن العصور الوسطى كان لديها حس تاريخي و هذا الحس ناتج من الغاية التي يسعى إليها الإنسان ، ألا و هي الوصول إلى الله و الجدير بالذكر هنا أن المسيحية كانت ترجع كل الأمور إلى القدر و المكتوب ، فالتاريخ آنذاك كان قدريا حيث لا تنسب الأحداث لغير الله ، فهو الذي يتحكم في بنائها ، إلا أن أهم ميزة تقول بها الديانة المسيحية في تفسيرها للتاريخ و هي مولد السيد المسيح و من هنا آمنوا بأن محبة المسيح هي مفتاح للتاريخ ، ففكرة العناية الإلهية سادت معظم الحضارات القديمة ، لكن بظهور المسيحية أخذت طابع مسيحي ، لأن النشاط الإنساني بمجمله تسيره العناية الإلهية ، ولأن جميع أعمال الإنسان ما هي إلا أدوات في تنفيذ مشيئة الله ، والقديس أوغسطين أعطى أهمية كبيرة في توضيحه لمصطلح التاريخ، بحيث أن هذا الأخير كان يحمل طابع ديني أكثر من ما هو طابع تاريخي.

1-من هو القديس أغسطين؟: عاش أوغسطين (أوريليوس أوغسطينوس) من 13 نوفمبر 354 م إلى 28 أغسطس 430م. ولد في "طاغاست" في أفريقيا الرومانية (سوق أهراس في الجزائر)، تلقى أوغسطين مبادئ المسيحية في وقت مبكر من حياته. كان يؤمل من دراسته للقواعد والبيان في المراكز الإقليمية في مادوراوس وقرطاج، ويعتبر واحدًا من أبرز الفلاسفة واللاهوتيين في التاريخ المسيحي. قدم مساهمات هامة في العديد من المجالات، بما في ذلك الفلسفة واللاهوت والتاريخ. ومن بين المفاهيم التي تطرق إليها في أعماله هي "فلسفة التاريخ"، والتي تشكل جانبًا هامًا من فلسفته الشاملة، ومن أبرز مؤلفاته (الإعترافات)، و (مدينة الله).

2-مفهوم التاريخ عند القديس أوغسطين: يفهم القديس أوغسطين التاريخ على أنه سرد لسلسلة الأحداث التي شكلت الواقع وتأثيرها على المجتمعات والأفراد. ويرى أن التاريخ يعكس خطة إلهية ومصيرية، حيث تتجلى فيها مشيئة الله وتوجيهه للبشرية نحو النهاية المحددة، ويعتبر أن التاريخ يتحدث عن العمل الإلهي في العالم وخطته الخالدة للخلاص البشري. ويربط القديس أوغسطين بين التاريخ واللاهوت حيث يرى في الأحداث التاريخية تجليات لمشيئة الله وتأثيره في حياة البشر، بالرغم من رؤيته للتاريخ كعمل إلهي، إلا أن القديس أوغسطين يؤمن بأن للإنسان دورًا مهمًا في تشكيل مسار التاريخ. ويرى أن قرارات البشر وتصرفاتهم تؤثر في مجرى الأحداث التاريخية وتحقق مشيئة الله في العالم.

3-التاريخ والجدل بين مدينة الله ومدينة الإنسان:

تعتمد أطروحة أوغسطين في مدينة الله على وجود مدينتين واحدة أرضية والآخرى سماوية ، يتألف كتاب مدينة الله من اثنين وعشرين بابًا؛ وقد شرع أوغسطين في كتابته سنة 412م. وأنهاه سنة 427م. في الأبواب الأولى، والمجتمعات البشرية ككل ترجع الى هاتين المدينتين، ليست مدينة الله وهي السماوية خيرة بالطبع ولا تلك الأرضية شريرة بالطبع، وإنما ينتمي كل فرد الى إحدى المدينتين بمحض إرادته،(فالحياة الزمنية دار ابتداء تُعِدُّ للأبدية، والمصائب ليست للمسيحي غير امتحان وتأديب) ( ).وبينهما منذ البداية حرب هائلة تجاهد مدينة الله في

سبيل العدالة وتجاهد الآخرى لتنصر الظالم، ولا تزال هذه الحرب مستمرة الى نهاية العالم، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الزمان ،فتنعم الواحدة وهي مدينة الله بالسعادة الأبدية، وتلقى الآخرى جزاءها في النار التي لا تنطفئ)، فبعد خلق ادم في الجنة ثم خلق حواء من أحد ضلوعه تأكيدا على مفهوم الوحدة .فلما أخطأ آدم أصبح يرمز لوحدة الانسانية الاصلية ولازدواجها الى عالمين أو كيانين أو مدينتين هما مدينة الله التي يسيطر عليها ويتحكم فيها حب الله ، ومدينة الارض او الشر التي يسيطر عليها ويتحكم فيها حب الدنيا ، ذلك الحب الذي أفسد ارادة آدم الطيبة التي فطره الله عليها فلحقت به الازدواجية . وتجلت هذه الازدواجية بشكل واضح على أثر قتل قابيل لهابيل .إذ أصبح هناك شخصان متمايزان يمثل كل منهما إحدى المدينتين بعد إن كانت الازدواجية حبيسة في آدم أبو الإنسانية وتاريخ الجدل بين عنصري هذه الازدواجية الإنسانية.

إن بنية المدينتان وغاياتهما انطلاقا من تلك الغاية التي تهدف الدفاع عن المسيحية والرد على من اتهم المسيحية أنها كانت السبب، جاءت دراما أوغسطين في سرد التاريخ بعيون النص المقدس من هنا فان مدينة الله التي رسمها أوغسطين ترتكز على نقطتين: النقطة الأولى : وجود حقبتين زمنيتين تجمع كلا المدينتين الأرضية والسماوية ، الأولى من عهد قابيل أبن آدم الى عهد إبراهيم (عليه السلام) وفيها كانت المدينتين مختلطتان. النقطة الثانية : ما بعد إبراهيم فالمدينة السماوية تمثلت باليهود، والأرضية شملت باقي الإنسانية، وكانت ذروتها الإمبراطورية الرومانية. والفاصل بين الحقبتين هو ظهور المسيح. ذلك هو المحور الجوهري للفكر الأوغسطيني، وهذا التضاد الأساسي بين الإيمان المسيحي الذي يتوق الى السعادة في الجنَّة السماوية، والمثال القديم للمدينة القديمة، المكان الوحيد للحضارة والسعادة.

4-منهج أوغسطين التاريخي: يبدو أن التأويل من المناهج التي تكمل مشروع بوصفه مؤرخ يحتكم إلى النص المقدس من خلال الاعتماد على وجود معنى ظاهري حرفي وأخر باطني

مقدس وبهذا كان ينتمي إلى التفسير الرمزي المسيحي وقد برع هو فيه حتى عد من أهم هرمنيوطيقي العصور الوسطى ، وقد كان لدية دراية ومعانات مقلقة بين الفلسفة والعقيدة وقد وظف معرفته للفلسفة اليونانية ، وعقيدته الدينية المسيحية ، في بلورة مبادئه الهرمنيوطيقية . في كتابه " في العقيدة المسيحية " قدم مبادئ واضحة للتمييز بين نوعين من التفسير ، الظاهر والمعنى الباطن . ، إلا انه وفق أولويات الممارسة الروحية ، يكون الترجيح للتفسير الباطني وفي هذا يقول " على القارئ أن يتعامل مع كل ما يقرأه ، إلى أن يستقر على القراءة التي توصله إلى مملكة الحب . فإذا كان المصدر الأساسي للوحي هو الله أوحى إلى الكتاب بإرشاد الروح القدس ، والكاتب يستخدم كلمات للتعبير عن المعنى ، والمستلم يحاول فهم المعنى من الكلمات فان الروح القدس يعين المستلم على الفهم هنا دور روح القدس يشبه دور هرمس في التأويل فهو الواسطة وهو المعين في كشف المعنى وهو أيضا اله الحب عند افلاطون لقد كان منهج اوغسطين في التاويل –على حد تعبير جيلسون وكوبلستون –نظريات اختلطت بها الفلسفة مع العقيدة الدينية ، وكونت علة اللاهوت الوسيط الذي يوفق بين العقل والوحي فقد وثق اوغسطين العلاقة بين الايمان الديني واليقين العقلي بعبارته الشهيرة :"اعقل كي تؤمن وآمن كي تعقل ". مبينا أن الايمان لا يلغي العقل ولا يعفي من البحث ولا يقتل الفكر .